منظمة حلف شمال الأطلسي من الدفاع إلى التوسع

الأستاذة: طورشي ليلى
جامعة الجزائر 03

الملخص باللغة العربية:

يعد حلف شمال الأطلسي منظمة عسكرية تم إنشاؤها أثناء الحرب الباردة بموجب **معاهدة 1949**، كحلف دفاعي ضد المعسكر الشيوعي، **تعتمد على المادة 05** من معاهدة واشنطن، **كأساس لبناء استراتيجياتها** التي كانت قائمة على مفهوم **المواجهة والدفاع** ضد الخطر الشيوعي، لكن التحولات التي طبعت فترة ما بعد الحرب الباردة استدعت التحول في طبيعته وذلك لمواجهة أزمة مشروعية الحلف، ليتم بذلك تبني سياسة قائمة على التوسع خارج المجال الجغرافي الأصلي له، بالاعتماد على آليتين التوسع الجغرافي بضم أعضاء جدد والتوسع العسكري بالتدخل عن طريق القوة العسكرية. بناء على ذلك سيتم البحث من خلال هذه الدراسة في التحول والتغير الذي طبعه خلال فترتين زمنيتين مختلفتين، من الدفاع إلى التوسع.

الكلمات المفتاحية: منظمة حلف شمال الأطلسي، الإستراتيجية، فترة ما بعد الحرب الباردة، المواجهة، التوسع، الدفاع.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract :

The **N**orth **A**tlantic **T**reaty **O**rganization **(NATO)** is a military institution created during the cold war, according to the treaty of **1949**, as an alliance of defense against communist camp, It based on **the article 05**. But the transformations which characterized the period after the cold war made the change of this alliance's functions s a necessity toward the search for its origin geographical space, in relying on two mechanisms: territorial expansion by adding new members and military extension through interventions by using military power. as an attempt to analyze what we has exposed above this article searches on transformations and

modifications which marked the NATO organization through two different periods , from defense
to expansion .

Key Words: The **N**orth **T**reaty **O**rganization, strategic , the period after the cold war, confrontation, expansion, Defense.

شهدت أوروبا مع نهاية الحرب العالمية الثانية تحولا في طبيعة التحالفات بين الدول خاصة بعد ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى في تلك الفترة مقابل ضعف أوروبي كبير ، إضافة إلى بروز خطر أسلحة الدمار الشامل، لتصبح أوروبا من جديد مسرحا لتجسيد الصراع الثنائي بين المعسكرين، الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشيوعي بزعامة الإتحاد السوفييتي، ومن هنا سعت الولايات المتحدة الأمريكية لتشكيل حلف شمال الأطلسي كحلف عسكري لاحتواء المد الشيوعي في أوروبا الغربية، إلا أن هذه المواجهة انتهت بانتصار للمعسكر اللبرالي ضد المعسكر الاشتراكي ، وهو ما طرح عدة تساؤلات حول شرعية بقاء واستمرار حلف شمال الأطلسي، خاصة وأن نظرية الأحلاف العسكرية تقوم على أساس زوال الأحلاف بمجرد زوال الحلف المضاد، هذه النظرية التي تجاوزتها منظمة حلف شمال الأطلسي، بالبحث عن استراتيجيات بديلة عن الصراع والمواجهة والدفاع إلى استراتيجيات جديدة تقوم على مبدأ التوسع والوقاية، من هذا المنطلق سيتم البحث في إشكالية **التحول في طبيعة منظمة حلف شمال الأطلسي من الدفاع إلى التوسع؟**

أولا: الإستراتيجية الدفاعية لحلف شمال الأطلسي أثناء الحرب الباردة

شهدت العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية بروز صراع دولي جديد جسدته الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي سابقا، هذه الحرب كان من نتائجها بروز أحلاف عسكرية، **حلف وارسو(حلف الدول الشيوعية) وحلف شمال الأطلسي (حلف الدول الرأسمالية). تميزت هذه الحرب باستخدام استراتيجيات عسكرية دفاعية من طرف الحلف الأطلسي ضد الإتحاد السوفييتي، لاحتواء مناطق جديد ، وهو ما أطلق عليه الحروب بالوكالة في تلك الفترة**، وفي هذا يقول "نابليون": **"إن معرفة جغرافيا الدولة تعني معرفة**

سياستها الخارجية"، تثبت هذه المقولة فكرة التوسع على حساب الحدود الجغرافية.[1]

أ- مبادئ الإستراتيجية العسكرية الدفاعية أثناء الحرب الباردة

تأسس الحلف الأطلسي بموجب معاهدة واشنطن سنة 1949، كأداة سياسية وعسكرية ضد الإتحاد السوفييتي، مصممة ومجهزة لمنع غزو أوروبا الغربية من جانب الإتحاد السوفييتي سابقا وحلفائه ٬ في البداية تم عقد مشاورات بين كل من كندا، الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حول معاهدة " الدفاع الجماعي لمنطقة شمال الأطلسي" .[2]

أسفرت هذه المفاوضات على التوقيع في **04 أفريل 1949**على معاهدة واشنطن التي أنشأت نظام دفاع مشترك مؤسس على الشراكة بين الدول اللإثني عشر وفق المادة 51 من مثاق الأمم المتحدة حول **حق الدفاع المشروع** في شكله الفردي أو الجماعي، ليستلهم الحلف الأطلسي من هذه المادة حجر الأساس الذي قام عليه وفق المادة الخامسة 05 التي تشترط بأن " الدول ا أعضاء تتفق على اعتبار أن أي هجوم مسلح ضدهم في أوروبا أو أمريكيا الشمالية يعد هجوما ضد الجميع أو كل الأعضاء".[3]

تبنى الحلف الأطلسي في سنة **1949-1950 إستراتجية** تحت مسمى **"المفهوم الإستراتيجي للدفاع عن منظمة حلف شمال الأطلسي"**،[4] تقوم أهم نصوصه على أن الأمن الإقليمي للدول الأعضاء، يخطط للعمليات الرئيسية في حالة العدوان على أي بلد عضو وفقا **للمادة الخامسة(05)** ، يعرض هذا المفهوم إستراتيجية عمليات واسعة النطاق في الدفاع عن الأراضي الأوروبية، **ومع منتصف الخمسينيات** تم التأسيس **لإستراتيجية الانتقام الشامل strategy of massive retaliation** والرد على أي عدوان يكون ضد الدول الأعضاء، من خلال الوسائل المتاحة بما في ذلك

[1]- Zbigniew Brezinski, **Le grand échiquier : l'Amérique et le reste du monde**, hachette littérature, Paris,1997,p,64.

[2] -**"L'OTAN après la guerre froide",** la documentation française: http://www.la documentation française.fr/dossiers /OTAN/HTM,L/**12/04/2011.**

[3] - **"L'OTAN après la guerre froide",** la documentation française, op, cit.

[4] - Edem.

الأسلحة النووية، **سنة 1967**وبعد نقاش داخل الحلف تم طرح إستراتيجية بديلة **"إستراتيجية الرد المرن"strategy of flexible response أو الرد التدريجي** من خلال إعطاء الحلف المرونة والاستجابة في حالة وجود تهديد لسيادة واستقلال الدول الأعضاء في الحلف[1].

يهدف المذهب الاستراتيجي لتجنيب الدول الأعضاء تقديم العديد من القوات التوافقية المكلفة من أجل التركيز حول الإصلاحات الاقتصادية، في سنة **1962** حكم **هنري كيسنجر Henry Kissinger** [2] بأن **مذهب الانتقام الشامل** أصبح غير مريح، بسبب النظام الدولي المتغير فأزمة كوبا سنة **1962** التي أوصلت العالم إلى حافة الأزمة النووية أدت لتغيير نظرية التحالف، وفي نفس السنة اقترح **Robert Macnamara** في حكومة **kennedy** ما أصبح يسمى **نظرية الرد التدريجي** يعني بالنسبة ل **Georg Legueltes - المختص في المسائل النووية والأمين السابق لمجلس حكماء الوكالة الدولية للطاقة الذرية-** سلسلة من الحلول تبتعد من منطق الانتقامات الواسعة وتؤدي إلى رد متدرج في حالة هجوم نووي محدد من الإتحاد السوفيتي **URSS** ضد أحد الدول الأعضاء للحلف، هذه الأخيرة المتبناة في سنة **1967** من طرف المجلس الأطلسي لاسيما بعد انسحاب فرنسا من القيادة المندمجة للناتو. كما عرف الحلف الأطلسي هذه الإستراتيجية من خلال **3 قواعد :** رد دفاعي لمجابهة الاعتداء والتقرب إراديا من التهديد الأكثر قوة من أجل ثني العدو، كذلك الرد النووي كوسيلة أخيرة للردع بالإضافة يتعلق الأمر بأكثر ليونة في حالة التهديد ضد أحد الدول الأعضاء للحلف، غير أنه كما يؤكد **Georges Legueltes** مذهب لا يمكن أن يكون له معنى إلا بالتطورات التي يحدثها.[3]

من خلال هذه التطورات المهمة، فإن الحلف قام بمواجهة التحديات الأمنية في الحرب الباردة وحتى ما بعد الحرب الباردة فبالنسبة **لإبراهيم سعيدي Brahim saidy " فإن الحلف الأطلسي يعد تحالف سياسي يحقق الرابط الأطلسي بين**

[1] - Edem.

[2] - Pièrre Colomina, **l'OTAN face aux menaces sécuritaires non conventionnelle : une redéfinition stratégique de l'alliance atlantique en quête de légitimité**, Institut d'études politiques, 2014-2015, 22.

[3] - Edem.

أوروبا وأمريكا ويقدم إطار ملائم ومتميز للتشاور حول مسائل الأمن ويشجع التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي التي تصفه هياكل المنظمة لزيادة رفاهية كل الدول الأعضاء . " [1]

ثانيا: الإستراتيجية التوسعية لمنظمة حلف شمال الأطلسي ما بعد الحرب الباردة: مبدأ البحث عن الشرعية

طرحت نهاية الحرب الباردة العديد من النقاشات حول **استمرار** أو **تفكك** منظمة حلف شمال الأطلسي بعد زوال أسباب نشوئه، لكن ذلك لم يحدث فالولايات المتحدة الأمريكية، الدولة التي بموجبها تم تأسيس الحلف أكدت على ضرورة الإبقاء عليه وإدخال تعديلات تتماشى وطبيعة النظام الدولي بعد الحرب الباردة، هذه التعديلات شملت طبيعة **أهدافه و إستراتيجيته**، وتم تبرير ذلك بتعدد وتنوع مصادر التهديد الجديدة، أي التغير في طبيعة مفهوم **الدفاع الجماعي** الذي كان سائدا أثناء فترة الحرب الباردة والانتقال إلى **طبيعة جديدة لمفهوم الأمن**، أين أصبح الحديث عن مفهوم **الأمن الجماعي** الذي يسمح له بتوسيع نطاقه الجغرافي والخروج به من الحيز التقليدي المتمثل في منطقة الأورو أطلسي، إلى نطاق جغرافي أوسع يشمل كل مناطق العالم حسب طبيعة المخاطر والتهديدات.

أ- التوسع الجغرافي

شملت إستراتيجية الحلف الأطلسي التوسعية ضم أعضاء وشركاء جدد من خلال بعث مبادرات قائمة على مفاهيم الشركة والتعاون، فكانت مبادرة الشراكة من أجل السلام سنة 1994 أولى المبادرات التي تبنتها منظمة حلف شمال الأطلسي بعد الحرب الباردة، وجهت أساسا لدول شرق ووسط أوروبا، الدول التي كانت في السابق أعداء للحلف كما حتى روسيا. هذا التوسع الجغرافي سمح بزيادة أعضاء الحلف إلى ثمانية وعشرون عضوا 28 بعد أن انطلق من اثني عشر عضو مؤسس سنة 1994، هذا التوسع الجيواستراتيجي للحلف لم يقتصر فقط على ضم أعضاء جدد، بل اتسع ليشمل التوسع العسكري الميداني في إطار حماية الأمن الأورو أطلسي في بعده الجماعي، وهو كان سببا لإعلان الحلف التدخل عسكريا في عدة مناطق من

[1] - Pièrre Colomina, op,cit,p, 24.

العالم، تبنى الحلف هذين الإستراتيجيتين في كل المفاهيم الإستراتيجية التي تم إطلاقها منذ 1991- 1999 و 2010، ليصبح للحلف بعدين: 1-بعد التوسع الجغرافي،

2- بعد التوسع العسكري.

و في تصريح للسكرتير العام للحلف الأطلسي الأسبق **ياب دي هوب شيفر** أكد بأن **" مجال التوسع الاستراتيجي الجغرافي للحلف يشمل الدول الديمقراطية التي تمتد من البلقان إلى البلطيق ومن الأطلسي إلى البحر الأسود، ويتم الاتساع ليشمل تلك المجتمعات المشتركة في القيم وذات المصالح المشتركة**" وبهذا تزداد قدرة الحلف وإمكاناته في مواجهة التحديات الأمنية **للقرن21**.

لقيت عملية التوسع الجغرافي للحلف تطورا كبيرا بعد انضمام دول من وسط وشرق أوروبا، كانت ضمن الشراكة من أجل السلام لتصبح أعضاء في الحلف وهو يعد تحول جيوستراتيجي مهم اتجاه منطقة آسيا الوسطى والقوقاز،[1] وفي سنة 2004 أطلق الحلف مبادرة اسطنبول اتجاه منطقة الشرق الأوسط وهي مبادرة سياسية أكثر منها عسكرية تهدف حسب الحلف مساعدة دول منطقة الشرق الوسط على نشر الديمقراطية.

ب- **التوسع العسكري الميداني:** شمل التوسع العسكري للحلف التدخل بالقوة العسكرية في مناطق نذكر نماذج منها

1- التدخل في أفغانستان

التدخل العسكري للحلف الأطلسي في أفغانستان كانت له العديد من الخلفيات والأهداف تم رسمها مسبقا بوجهة أمريكية بحتة استطاعت من خلالها توجيه كل قوات وقدرات الحلف المتشكلة من ثمانية وعشرين دولة من دول وحكومات الحلف نحو المستنقع الأفغاني، وهو ما يثبت من جديدة مدى متانة المصالح بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على الرغم من بعض الاختلافات المتعلقة بميزانية الدفاع التي تأخذ الولايات المتحدة الأمريكية الحصة الأكبر في الإنفاق العسكري في هذه الحرب.

[1] - طالب حسين حافظ، الأدوار الجديدة للناتو بعد الحرب الباردة، مجلة دراسات دولية، العدد، 46، 2010، ص، 147.

هذا التدخل كان بمثابة اختبار لمصداقية الحلف ومدى قدرته على العمل خارج المنطقة الأورو أطلسية، تولى خلالها قيادة قوة المساعدة الأمنية الدولية ISAF سنة 2003[1] إلى غاية إصدار قرار الانسحاب الذي تم مع نهاية عام 2014،

انطلاقا من ذلك فإن الحلف يتجه نحو عولمة قواته العسكرية العملياتية بتورطه في أفغانستان على الحدود المباشرة مع الصين وإيران كما انه يعزز حضوره في البلقان انطلاقا من تدخله في يوغسلافيا سابقا كما انه يتدخل في لبنان بشكل غير رسمي بأسطول من البوارج الحربية الأطلسية تمر عبر مياه إفريقيا الشرقية في البحر الحمر وبحر عمان، كما أن القوات البحرية الأعضاء في الحلف الأطلسي كألمانيا والدنمرك موجودة في شرقي البحر المتوسط.[2]

2- التدخل العسكري في العراق

دعت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة القائدة للحلف إلى ضرورة تدخل حلف شمال الأطلسي في العراق عام 2003 هذا القرار الذي لقي رفضا من طرف العديد من الدول الأعضاء في الحلف وعلى رأسها فرنسا وألماني، ومع حلول 2004 تزايدت طلبات التدخل الأطلسي المباشر في العراق لكن اتضح في قمة اسطنبول أنه لم يكن في وسع التحالف بقيادة الولايات المتحدة أن يتوقع تأييدا لتوريط قوات عسكرية تابعة للناتو في العراق ، وكان أقصى ما يمكن تحقيقه هو موافقة دول الحلف الأطلسي على تزويد الأمن العراقية بعناصر بشرية تدريبية دون مهمة قتالية.[3]

ختاما تم التوصل من خلال هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالية التي تمحورت حول مدى التحول والتغير في إستراتيجية منظمة حلف شمال الأطلسي من إستراتيجية دفاعية هدفها المواجهة والتصدي للخطر الشيوعي وهو يعد أحد أهم الأسباب التي أدت لنشأة هذا التحالف، فهاجس الخوف من العدو سمح بتحالف، ضم عدد كبيرا من الدول، إلى إستراتيجية توسعية على إثر التحول الذي شهدته العلاقات الدولية ما بعد الحرب الباردة وبروز تهديدات ومخاطر جديدة استدعت

[1]- طالب حسين حافظ، مرجع سبق ذكره ، ص، 145.

[2]-المهدي داريوش ناضم رعايا، **"الحلف الأطلسي: خطط سرية وعلنية لمحاصرة الصين وروسيا وإيران"**، العرب الأسبوعي، بريطانيا، ديسمبر 2010، ص 8.

[3]- طالب حسين حافظ،مرجع سبق ذكره، ص، 146.

من الحلف الإسراع في البحث عن مخارج لضمان شرعية بقائه،هذه الإستراتيجية قامت على مبدأ التوسع الجغرافي بضم دول جديدة كانت في السابق أعداء له وهو ما يؤكد نظرية الأحلاف القائمة على المصلحة، إلى جانب ذلك فإن الحلف لم يتخلى عن إستراتيجيته العسكرية ولكن تم تحويلها من الدفاع إلى المواجهة والوقاية ضد الخصم والمبادرة بالهجوم وهو ما تم التطرق إليه في نماذج التدخل العسكري في كل من أفغانستان والعراق باسم مكافحة الإرهاب الدولي، والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل.

قائمة المراجع المعتمدة:

المراجع باللغة العربية:

[1]- المهدي داريوش ناضم رعايا، **"الحلف الأطلسي : خطط سرية وعلنية لمحاصرة الصين وروسيا وإيران"**، العرب الأسبوعي، بريطانيا، ديسمبر 2010.

2- طالب حسين حافظ، الأدوار الجديدة للناتو بعد الحرب الباردة، مجلة دراسات دولية، العدد، 46، 2010.

المراجع باللغة الأجنبية:

3- Zbigniew Brezinski, **Le grand échiquier : l'Amérique et le reste du monde**, hachette littérature, Paris,1997.

4- Pièrre Colomina, **l'OTAN face aux menaces sécuritaires non conventionnelle : une redéfinition stratégique de l'alliance atlantique en quête de légitimité**, Institut d'études politiques, 2014-2015

5-**"L'OTAN après la guerre froide",** la documentation française:

http://www.la documentation française.fr/dossiers /OTAN/HTM,L/**12/04/2011.**

.